مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الرابع والعشرون - المجلد الثالث - علوم القرآن - تشرين أول 2024م
doi.org/10.52866/esj.2023.03.24.04

مراتب تكوين الإنسان في سورة الحج
من خلال تفسير كشف الحقائق للإمام برهان الدين النسفي

باسم محمد جواد ، أ. د. أكرم طامي جسام
الجامعة العراقية / كلية التربية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

مستخلص:

يهدف البحث الحالي إلى بيان مراتب تكوين الإنسان في سورة الحج من تفسير كشف الحقائق وشرح الدقائق من كلام الله العزيز للإمام برهان الدين النسفي ، حيث بين الباحث ترجمة مختصرة لاسم وحياة برهان الدين النسفي ، ثم بين مراتب تكوين الإنسان من المرتبة الأولى إلى المرتبة السابعة ، وبيان أهمية كل مرتبة وتفاصيلها.

The ranks of human formation
in surat Al_ Hajj through the explaination of revealing the facts
by Imam Burhan al_Din al_ Nasafi

Basam Muhammad Jawad , Prof. Dr. Akram Tami Jassam
Iraqi University, College of Education,
Department of Qur'anic Science and Islamic Education

Abstract :

The present research aims to show the ranks of human formation in surat Al_Hajj by explaining the revelation &explanation of fact from the word of dear Allah by Imam Burhan al _Din al_ Nasafi ,where the researcher clarified a brief translation to Burhan al_ Din al_ Nasafi's name and life ,then he clarified the ranks of human formation from the first rank to the seventh rank and explaining the importance of each rank and it's details.

المقدمة

الحمد لله الذي علَّم القرآن، وفي أحسن تقويم خلق الإنسان، فعلمهُ البيان، وبيَّن له الحكمة والبرهان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي كان خلقهُ القرآن، اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

أنعم الله تعالى علينا بكثير من النعم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: 18] وأعظم نعمة علينا خلق الله الأنسان في أحسن هيئة، وبين مراتب خلقة للإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:2]، والعبد الصالح هو الذي يتفكر في خلق الله وفي اطوار خلق الإنسان طور بعد طور، كيف كان نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة او غير مخلقة ثم طفلاً ثم تبلغوا أشدكم ثم الرجوع إلى ارذل العمر وهو الهرم.

أسباب اختيار الموضوع:

1 -أعظم نعم الله علينا خلق الإنسان في أحسن هيئة.

2- بيان مراحل تكوين الإنسان.

3- بيان الإعجاز في مراتب تكوين الإنسان.

أهداف الدراسة:

1. تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الأعمال يوم القيامة.

2. بيان تطور خلق الإنسان ودلالته على قدرة الله وعلمه وحكمته.

3. الاستدلال على الغائب بالحاضر المحسوس.

4. بيان فضل العلم والإيمان وأهلهما.

الدراسات السابقة:

بعد التدقيق والاطلاع لم أجد دراسة تناولت مراتب تكوين الإنسان في سورة الحج من خلال تفسير شرح الحقائق للإمام برهان الدبن النسفي، إلا بعض الدراسات والبحوث التي تكلمت عن مراحل أو أطوار خلق الإنسان، والدراسات كما يأتي:

1- أطوار خلق الإنسان.

2- مرحل خلق الإنسان في القرآن الكريم.

3- مراحل الإنسان في الحياة.

4- أطوار خلق الإنسان في القرآن بين الإعجاز التربوي والإعجاز العلمي.

خطة البحث: اقتضت خطة البحث أن تكون من مقدمة ومبحثين ومصادر وخاتمة.

اشتملت المقدمة على عنوان الدراسة، وأسباب اختيارها، ومشكلة دراستها، وأهدافها ومسوغاتها، والدراسات السابقة، وخطة.

المبحث الأول: حياة البرهان النسفي.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه.

المطلب الثاني: نسبته ومولده ومذهبه.

المطلب الثالث: موطنه.

المطلب الرابع: رحلاته العلمية.

المطلب الخامس: وفاته.

المبحث الثاني: بيان مراتب تكوين الإنسان في سورة الحج من خلال تفسير كشف الحقائق للإمام برهان الدين النسفي.

الخاتمة ونتائج البحث.

المصادر.

المبحث الأوّل:

التعريف بالإمام برهان الدين النسفي.

المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه[1]:

اسمه: محمد بن محمد بن محمد، الشيخ برهان الدين النسفي، الحنفي، الفيلسوف، المتكلم،[2] وبعض المصادر تذكر أن اسمه محمد بن محمود[3].

كنيته: يكنّى: أبي الفضل[4]، وأبي الفضائل[5]، وأبي عبدالله[6].

لقبه: لقب محمد بن محمد النّسفيّ بـ (برهان الدّين)[7]، وقد ذكرته بعض المصادر مختصراً بـ (البرهان النّسفيّ).[8]

المطلب الثاني:

نسبته ومولده ومذهبه:

نسبه: ينسب برهان الدّين النّسفيّ الى نسف[9]، وهي البلد التي ولد فيها[10].

مولده: تبين لي من خلال المصادر التي اعتمدتها أنّ ولادة البرهان النّسفي كانت سنة ستمائة، وبعض تلاميذه كابن الفوطي[11] يقول: إن هذا التّأريخ لمولده هو على وجه التّقريب لا التحديد[12]، وكذا في الجواهر المضية قال ذلك[13].

مذهبه:

مذهبه الفقهي: لقد كان مذهب النسفي حنفيا، ولا نعلم خلافا في ذلك حيث قال به من ترجم له[14].

---

(1) جاء الحديث عن حياة برهان الدّين النّسفيّ في كتب التّراجم مقتضبة، بعضها أخذ من بعض، إذ إنّي لا أملك فيما بين يدي من المصادر نصوصا كاشفة عن شخصيّته ولكن بجمع هذه النّصوص المتفرّقة في بطون الكتب وضمّ بعضها إلى بعض يجعل من مجموعها ما يمكن لنا أن نعدّه موجزا لحياة هذا المفسّر.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي: 600/ 15، والوافي بالوفيات، للصفدي: 216/ 1.

(3) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن عماد الحنبلي:574/ 11.

(4) ينظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي: 256، والأعلام للزركلي:31/ 7.

(5) ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر القرشي: 127/ 2، وطبقات المفسرين، للداودي: 252/ 2.

(6) ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي: 209/ 2.

(7) ينظر: العبر في خبر من غبرأ للذهبي:355/ 3أ وتاريخ الاسلام:600/ 15.

(8) ينظر: تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا:246، و طبقات المفسرين للداوودي:252/ 2.

(9) مدينة نسف: تقع الآن في جنوبي شرقي مدينة بخاري وغربي مدينة (كش)، في جمهوريّة أوزبكستان حاليا إحدى جمهوريّات الاتّحاد السّوفيتيّ السّابق، خرج منها كثير من العلماء، ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنّهاية، لابن كثير: 362/ 2.

(10) ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية:127/ 2، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العينى: 204.

(11) هو كمال الدّين أبو الفضائل عبد الرزّاق بن أحمد بن محمد بن أبي المعالي الشّيبانيّ المروزيّ، الشهير بابن الفوطي، العالم البارع المتفنن المحدث المفيد مؤرخ الآفاق مفخر أهل العراق، وألف كتاب (درر الأصداف في غرر الأوصاف)، وكتاب (المؤتلف والمختلف) وكتاب (التواريخ) وغيرها من المؤلفات، (ت:723هـ)، ينظر: الدر الثمين في أسماء المصنفين، لابن الساعي:25، وتذكرة الحفاظ، للذهبي: 190/ 4.

(12) ينظر: تاريخ الإسلام:600/ 15، و الوافي بالوفيات، للصفدي:216/ 1.

(13) ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 127/ 2.

(14) ينظر: تاريخ الإسلام: 600/ 15، وقلادة النحر

مذهبه العقدي: فهو ماتريديّ[1]، وذلك بسبب: ترجيحه لصحة إيمان المقلد[2]، وهذا مذهب الماتريديّة خلافا لأبي الحسن الأشعريّ[3]، والمعتزلة[4]، وكثير من المتكلمين[5]، والأمر الآخر أنّ غالب النّسفيين أحنافا وغالب الأحناف ماتريدية، فمن هذا يتضح لنا مذهبه العقديّ[6].

المطلب الثالث: موطنه:

ولد برهان الدّين النسفي في مدينة نسف، ونسب إليها ونشأ وترعرع وتلقى العلم في بداية حياته فيها، وقد خرج كثير من اهل العلم من هذه المدينة وخصوصا فقهاء الحنفية، منهم عبدالله بن أحمد النّسفي، الفقيه الحنفي[7]، ومنهم برهان الدين النّسفي، وغيرهم، ونذكر على سبيل الاختصار أهمية موقع نسف عند الجغرافيين المسلمين، فهي المدينة التي سمّاها الجغرافيّون نخشب[8]، ومدينة نسف كبيرة في مستو من الأرض، لها كثير قرى ونواح والجبال ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة ودار الإمارة عليه ويتصل هذا النهر بها من كش[9] والغالب على مدينة نسف الخصب والسعة [10] ، وقال المقدسّي (رحمه الله)[11]: هي مدينة نفيسة، وهي كثيرة

في وفيات أعيان الدهر، للهجراني الحضرمي الشافعي : 407/ 5.

(1) الماتريدية: وهي فرقة نشأت في أول القرن الرابع الهجري، وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهو محمد بن محمد بن محمود، ، إمام الهدى، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند)، له كتاب (التوحيد) وكتاب (المقالات) وكتاب (بيان وهم المعتزلة) وكتب أخر، (ت:333هـ)، ينظر: العرش للذهبي:56/1، وتاج التراجم: 249، والأعلام للزركلي: 19/ 7.

(2) المقلد: هو من يدين ما يدين لأنه دين آبائه وقرابته وعشيرته وأهل بلده ومشايخ قومه وليس عنده وراء ذلك حجة يأوي إليها، وإذا سئل عما يدعوه إلى اختيار ما هو فيه على خلافه، ضجر واختلط ولم يكن عنده إلا أن يقول: ديني ودين آبائي، ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، لأبي عبد الله الحليمي:145/ 1.

(3) هو العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة، رئيس الأشاعرة واليه ينسبون صاحب التصانيف الكلامية في الأصول، (ت:324هـ) في بغداد، ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي:260/ 13، وسير أعلام النبلاء، لابن قايماز الذهبي: 392/ 11، والوافي بالوفيات: 137/ 20.

(4) المعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء الغزالي لما اعتزل عن مجلس الحسن البصري (رضي الله تعالى عنه) يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن البصري : قد اعتزل عنا واصل فسموا بالمعتزلة، ينظر: دستور العلماء: 206/ 3، والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني: 48/ 1.

(5) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي:264/ 2.

(6) ينظر: تاريخ الاسلام:600/ 15، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر:407/ 5.

(7) ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية:270/ 1

(8) ينظر: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني:622، ومعجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للحموي: 5/ 2098.

(9) كش: اسم يطلق على عدة بلدان في إيران، منها بلدة قرب جرجان، وبلدة فيما وراء النهر، جنوبي سمرقند وبخاري إلى الجنوب منهما، ومنها قرية من قرى أصفهان، ينظر: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير: 264/ 2.

(10) ينظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للشريف الادريسي:492/ 1.

(11) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي ويقال له

الأعناب الجيدة والمزارع العذبة الطيبة الكبيرة[1].

المطلب الرابع: رحلاته العلمية:

إنّ الرّحلة في طلب العلم مهمّة جليلة، وهي تعد إحدى أهم أسباب اكتساب العلم، واعتاد علماء المسلمين على التنقّل والترحال من بلد إلى آخر، وذلك من أجل طلب العلم، والأخذ من العلماء في تلك البلدان، وهي سمة من سمات طلاب العلم منذ القدم.

وكان برهان الدّين النّسفيّ أحد اولئك العلماء، فقد اقتصر النسفي في تنقله وترحاله على ثلاثة بلدان، فقد ولد بنسف، ثم رحل الى دلهي في الهند، يعطي ويفيد طلاب المدراس التي أنشأها الملوك في وقته، ثم ذهب بعدها الى دمشق، حيث عكف فيها مدة من الزمان[2]، ثم قصد بغداد سنة خمس وسبعين وستمائة للهجرة واستقرّ بها إلى أن مات رحمه الله تعالى سنة (687هـ)[3].

قال الشّيخ عبدالحيّ بن فخر الدّين الحسنيّ (ت:1341هـ) في ترجمته لبرهان الدّين النّسفيّ: هو الشّيخ العالم الكبير برهان الدّين النّسفيّ، أحد العلماء المبرّزين في الفقه، والأصول، والعربيّة، كان يدرّس ويفيد بدار الملك في دلهي أخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشايخ[4].

وقال عنه أيضاً: أنّه كان إذا أتى إليه رجل للعلم يشترط عليه ثلاثة أمور:

الأول: أنه لا يأكل في اليوم والليلة إلا مرة واحدة ما يشتهيه من الطعام.

الثّاني: أنه لا يتأخر عن الحضور في الدرس يوما من الأيام فإن تقاصر عنه ولو مرة واحدة لا يقرئه أبدا.

الثالث: أنه إذا لقيه في الطريق فيكتفي بالتحية المسنونة ولا يزيد على ذلك من تقبيل الرجل وغيره[5].

المطلب الخامس: وفاته:

اتّفق كل من ترجم للبرهان النّسفيّ على تحديد مكان وفاته وموضع دفنه، وهو أنّه توفّي ببغداد ودفن بالخيزرانيّة[6] قرب الإمام أبي حنيفة[7] (رحمه

البشاري، شمس الدين، أبو عبد الله: رحالة جغرافي، ولد في القدس، وتعاطى التجارة، فتجشم أسفاراً هيأت له المعرفة بغوامض أحوال =البلاد، ثم انقطع الى تتبع ذلك، فطاف أكثر بلاد الإسلام، وصنّف كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، (ت:380هـ)، ينظر: الأعلام: 312/ 5.

(1) ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي: 282-283/ 1.

(2) ينظر: تاريخ بغداد: 600/ 15، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغري: 265/ 1.

(3) ينظر: الوافي بالوفيات: 216/ 1.

(4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للحسيني الطالبي: 88/ 1.

(5) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: 88/ 1.

(6) ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 127/ 2، وطبقات المفسرين: 252/ 2.
والخيزرانية: مقبرة بجوار الإمام أبي حنيفة (رحمه الله تعالى) تقع في منطقة الأعظمية وسط بغداد.

(7) هو النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه، مولى لتيم الله ابن ثعلبة، فقيه الملة، عالم العراق، قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها، وكان عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى، وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان، وقد كان في أيامه أربعة من الصحابة، أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى الأنصاري وأبو الطفيل عامر بن واثلة وسهل بن سعد الساعدي وجماعة من التابعين، مات ببغداد سنة (150هـ) وهو ابن سبعين سنة، ينظر: طبقات المفسرين، للشيرازي: 86، وفيات الأعيان،

الله تعالى)، ولكن اختلفوا في تحديد زمن وفاته على أقوال وهي كما يأتي:

الأوّل: سنة أربع وثمانين وستمائة[1]، ونقل ذلك اليافعيّ في مرآة الجنان[2]، وابن العماد الحنبليّ في شذرات الذّهب[3].

الثاني: سنة ست وثمانين وستّمائة، وممّن قال به حاجي خليفة[4]، واللّكنويّ[5].

الثالث: سنة ثمان وثمانين وستّمائة، وممّن قال بهذا حاجي خليفة كما في كشف الظّنون[6].

الرابع: سنة سبع وثمانين وستّمائة، وبه قال الأكثرون[7].

والّذي يبدو لي أن الأرجح هو القول الرابع، والله تعالى أعلم، وذلك لأسباب:

1- أنّ تلميذه ابن الفوطي قد حدّد هذا التّأريخ بدقة فقال: ومات في الثّامن والعشرين من شهر ذي الحجّة سنة سبع وثمانين وستّمائة[8]، وتلميذه أعرف النّاس به وتحديد اليوم والشّهر يشعر بتيقّنه وقوّة ضبطه.

2- أنّ مصادر ترجمته تكاد تجمع على هذا القول فلم يشذّ عنه إلّا قليل.

المبحث الثاني
مراتب تكوين الإنسان في سورة الحج:

المرتبة الأولى: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: إنا خلقنا أصلكم من تراب وهو آدم (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾[9][10].

وثانيهما: إن خلقة الإنسان من المني ودم الطمث وإنما يتولدان من الأغذية، والأغذية إما حيوانية واما نباتية وغذاء الحيوان ينتهي إلى النبات دفعاً للتسلسل[11]، والنبات يتولد من الأرض والماء، فصح قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[12].

المرتبة الثانية: قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ والنطفة اسم الماء القليل أي ماءٍ كان، وذلك هنا ماء الفحل[13].

المرتبة الثالثة: قوله تعالى:﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ والعلقة قطعة الدم الجامدة، ولا

شك أن بين الماء وبين الدم الجامدة مباينة شديدة[14] .

المرتبة الرابعة: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ

لابن خلكان: 406/ 5، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 240/ 17.

(1) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، بدر الدين العيني: 204.

(2) مرآة الجنان وعبرة اليقظان: 151/ 4.

(3) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 672/ 7.

(4) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 2/ 1273.

(5) الفوائد البهية في تراجم الحنفية: 194.

(6) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 1/ 865.

(7) تاريخ الإسلام: 600/ 15، وتاج التراجم: 247.

(8) الوافي بالوفيات: 216/ 1، وتاج التراجم: 247.

(9) سورة آل عمران: الآية (59).

(10) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: 567/ 18، وتفسير السمرقندي: 449/ 2، وتفسير السمعاني: 419/ 3.

(11) التسلسل: هو ترتيب أمور غير متناهية، ينظر: التعريفات: 57.

(12) ينظر: الكشاف: 144/ 3، ومفاتيح الغيب: 204/ 23.

(13) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:8/ 7، والمفردات في غريب القرآن:811.

(14) ينظر: تفسير البسيط:25/ 15، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، : 941/ 2.

مُخَلَّقَةٍ﴾ فالمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ[1]، والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب، يقال خلق الله السواك والعود إذا سواه وملسه، من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء، ثم للمفسرين فيه أقوال[2]:

- **أحدها**: المراد من تمت فيه أحوال الخلق ومن لم تم[3]، كأنه تعالى قسم المضغة إلى قسمين:

أحدهما: تامة الصور والحواس والتخاطيط، **وثانيهما**: الناقصة في هذه الأمور، وهذا قول قتادة والضحاك[4]، فكأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة ومنها ما هو ناقص الخلقة، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت. [و، 320 ، أ] الناس في خلقهم[5].

- **وثانيها**: المخلقة الولد الذي يخرج حياً[6]، وغير المخلقة السقط وهو قول مجاهد[7].

- **وثالثها**: المخلقة المصورة وغير المخلقة غير المصورة وهو الذي يبقى لحماً من غير تخطيط وشكل[8].

- **ورابعها**: قال القفال: التخليق مأخوذ من الخلق تتابع عليه الأطوار وتوارد عليه الخلق بعد الخلق فذلك هو المخلق لتتابع الخلق عليه، قالوا فما تم فهو المخلق وما لم يتم فهو غير المخلق، لأنه لم يتوارد عليه التخليقات، والقول الأول أقرب واظهر[9] أما قوله تعالى : ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: لنبين لكم أن تغيير المضغة إلى المخلقة وهو اختيار الفاعل المختار، ولولاه لما صار بعضه مخلقاً وبعضه غير مخلق[10].

وثانيهما: التقدير إن كنتم في ريب من البعث فإنا أخبرناكم أنا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل عنكم ذلك الريب في أمر بعثكم، فإن القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزاً عن الإعادة[11].

وأما قوله تعالى : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فالمراد منه من يبلغه الله حد الولادة[12]، والأجل المسمى هو الوقت المضروب للولادة وهو آخر ستة أشهر وغيره كما شاء الله سبحانه وقدر[13] .

المرتبة الخامسة : قوله تعالى ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ وإنما وحد الطفل لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل يخرج كل واحد منكم طفلا[14].

(1) ينظر: معاني القرآن، للنحاس:377/ 4، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز:728.
(2) ينظر: الكشاف: 144/ 3، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: 114/ 4.
(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 412/ 3.
(4) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، عن قتادة: 398/ 2، رقم (1900)، والطبري في تفسيره: 568/ 18.
(5) ينظر: الكشاف: 144/ 3.
(6) وهو قول ابن عباس (رضي الله عنه)، ينظر: تفسير القرآن العظيم: 8/ 2475.
(7) ينظر: تفسير مجاهد:477.
(8) وهو قول الحسن، ينظر: زاد المسير في علم التفسير: 223/ 3، (قال الطبري: هو أولى الأقوال، ينظر: جامع البيان: 570-569/ 18).
(9) ينظر: مفاتيح الغيب: 204/ 23، والجامع لأحكام القرآن: 9/ 12.
(10) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: 223/ 3، ومفاتيح الغيب:204/ 23.
(11) ينظر: تأويلات أهل السنة: 391/ 7، والهداية إلى بلوغ النهاية: 4846/ 7.
(12) أخرجه الطبري في تفسيره، فذكره: 569/ 18، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم، بنحوه: 8/ 2475، رقم (13785).
(13) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 65/ 4.
(14) ينظر: الكشاف: 145/ 3.

المرتبة السادسة: قوله تعالى: ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ الأشد كمال العقل والقوة[1]، والتمييز وهو من ألفاظ[2] الجموع التي ليس لها واحد، والمراد والله أعلم ثم سهل في تربيتكم وأغذيتكم أموراً لتبلغوا أشدكم فنبه بذلك على الأحوال التي بين خروج الطفل وبين بلوغ الأشد ويكون بين الحالتين وسائط، وذكر بعضهم أنه ليس بين حال الطفولية وبين ابتداء حال بلوغ الأشد واسطة حتى جوز أن يبلغ في السن ويكون طفلاً كما يكون غلاماً ثم يدخل في الأشد[3].

المرتبة السابعة: قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ وهو الهرم والخرف، فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم، وهذا لا يكون لازماً في الكل بل في البعض، ومن الناس من قال هذه الحالة لا تحصل لأهل الإيمان، وهذا ضعيف لأنا نشاهد هذه الحالة في البعض منهم ولا يلزم منه الخلل في الإسلام، فإن قيل كيف؟ قال: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ مع أنه يعلم بعض الأشياء كالطفل؟ فنقول: المراد أنه يزول خلقة فيصير كأنه لا يعلم شيئا[4].

الخاتمة

إن بيان مراتب خلق الإنسان، دليل على أنه سبحانه قادر على كل الممكنات، وعالم بكل المعلومات، مما يثبت كون الإعادة ممكنة، وأن المعاد مقدور عليه، ويكفي على عظمة الخالق وكمال قدرته خلق أصلك من تراب وأنت من نطفة فعلقة فمضغة فلحم ودم وعظم، ثم روح وحركة وكلام وسمع وبصر وعقل وشباب وكهولة وشيخوخة وهرم، واعلم أن الله تعالى جمع في الإنسان ما لم يجمعه في الحيوان، ، وجمع فيه ما لم يجمعه في الملائكة، ولا في الحيوان، لأن الملك له عقل بلا شهوة، والحيوان له شهوة بلا عقل، والإنسان جامع لهما، فسبحان من أودع في كل خلقه عظات لا تحصى وعبرا لا تستقصى.

وفي الختام، فهذا عمل بذلت فيه جل جهدي واهتمامي في كسب دقائقه، وحاولت جاهداً أن أسأل عن حقائقه، لو فعلت ما أريد فله الحمد، ولو كان الآخرون عند الله لأحصيت كلامي، ولكن بعد ذلك قلت أنني لم أدخر أي جهد، ولا أزعم أنه جمع السلامة من كل نقص، كيف والبشر يعوض النقص لا محالة، لكني على يقين أن جهودي لم تحقق إلا مبلغا محدودا، وأتمنى أن يوفقني ربي إلى الأفضل وأنا ما صنعت، النقص أكمل الحوار، والخلل أسد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه.

---

(1) ينظر: جامع البيان: 569/ 18، والهداية الى بلوغ النهاية: 4847/ 7، والمخصص: 148/ 5.

(2) قوله: (ألفاظ) سقط من (أ) و(ب) وما أثبته من مفاتيح الغيب أنسب للسياق: 205/ 23.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب: 205/ 23.

(4) ينظر: الكشاف: 146/ 3.

المصادرُ والمراجعُ

القرآن الكريم

1. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري.
2. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط15، أيار- مايو 2002 م.
3. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 - 1418 هـ.
4. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).
5. تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: 879هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم - دمشق، ط1، 1413 هـ- 1992م.
6. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام أشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، لناشر: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م، 1422هـ - 2002م طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
7. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1422هـ - 2002 م.
8. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م.
9. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية، الإمام الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت774هـ)، ط1، دار الدعوة، الاسكندرية - مصر، 1948م.
10. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ- 1986م)، ط1، 1424هـ- 2003م.
11. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430 هـ.
12. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1، 1418هـ- 1997م.
13. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو

محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط3، 1419 هـ.

14. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1 ، 1426 هـ - 2005 م.

15. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.

16. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211 هـ)، مكتبة الرشد - الرياض، ط1 ، 1410.

17. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1410 هـ - 1989م.

18. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1420 هـ - 2000 م .

19. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، ط3، 1384هـ - 1964م.

20. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: 775هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي.

21. الدر الثمين في أسماء المصنفين، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (المتوفى: 674هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، تونس، ط1، 1430 هـ - 2009م.

22. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دار النشر: دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت- 1421 هـ - 2000م، ط1.

23. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422 هـ.

24. السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط1، 1418هـ - 1997م.

25. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله

محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 74هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، 1427هـ-2006م.
26. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986 م.
27. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: 793 هـ)، الوفاة 791 هـ، المحقق: الناشر دار المعارف النعمانية، سنة النشر: 1401 هـ - 1981م.
28. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق 11هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط1، 1417هـ- 1997م.
29. العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
30. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ).
31. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي (المتوفى: 1402هـ)، الناشر: مكتبة وهبه، ط10.
32. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد إسماعيل، ط1، 1324 هـ.
33. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (870 - 947 هـ)، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، الناشر: دار المنهاج - جدة، ط1، 1428 هـ - 2008 م.
34. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407 هـ.
35. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422، هـ - 2002 م .
36. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: 581هـ) عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1.
37. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن

سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1417هـ 1996م.
38. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: 768هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1417هـ - 1997 م.
39. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ط1، 1411 هـ - 1991م.
40. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4 ، 1417 هـ - 1997 م.
41. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني - الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرمة، ط1 ، 1409.
42. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م.
43. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ - 1993م.
44. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3 - 1420 هـ.
45. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
46. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.
47. المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: 562هـ)، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1417 هـ - 1996م.
48. المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (المتوفى: 403 هـ)، المحقق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، ط1، 1399 هـ - 1979 م.
49. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: 874هـ)،

حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

50. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (المتوفى: 560هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409 هـ.

51. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008م.

52. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1 ، 1415 هـ.

53. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.

54. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: 1341هـ) دار النشر: دار ابن حزم - بيروت، لبنان ط1، 1420 هـ، 1999م.